بأمر نفسه

خيال مسرحي

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشروالتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

شعير. صلاح
الساحرة والحكيم : مجموعة مسرحية بالفصحى / صلاح شعير. - ٢٠١٨
١٨٤ ص ؛ ٢٠ سم
رقم الإيداع : ١٤٣٤٠ / ٢٠١٨
تدمك : ٧ - ٦٧٧ - ٧٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١. مسرحيات الأطفال
٢. المسرحيات العربية
أ. العنوان
ديوى : ٨١٢,٠٤١
رقم الإيداع : ١٣٤٣٠
تصميم وإخراج : أمير شعير

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الشخصيات

معسكر الخير :
جحا: شاب في الأربعين من عمره يتميز بالمكر والدهاء وحب الخير.
ست الكل: فتاة حالمة ٣٠ سنة أخت الحاكم بأمر نفسه.
الأمير علاء الدين: ٣٥ سنة شاب ذو خلق.
الصياد: ٤٠ سنة من عامة الشعب يتميز بخفة الظل والبساطة.
بهية: أرملة ٣٥ سنة جميلة, وتبدو عليها ملاح الفقر والعوز.

معسكر الشر :
الخليفة الحاكم بأمر نفسه، ٣٥ سنة، متسلط وسفيه ومتسرع.
الحانوتي: ٥٠ سنة، بدين وخبيث وماكر وملامحه منفّرة.
حنظلة: عبد أسود ٤٥ سنة, شكله مخيف.

شخصيات مقهورة :
الشيخ علي : ٥٥ سنة أزهري
القس حنا : ٥٠ سنة, عليه علامات البؤس, ومضطهد, يظهر طوال العرض بزي القساوسة وفي رقبته صليب حديدي كبير يعيقه عن الحركة.
سمعان: ي هودي ٤٠ سنة, مقهور, يظهر طوال العرض بزي أسود.

شخصية خيالية :
الحمار: وهو عبارة عن شخص يرتدي وجه حمار (يمكن عمل هيكل حمار يحوي بداخله ممثلا عبر مصمم متخصص)

شخصيات ثانوية :

نوارة- قائد الحرس- حارس١- حارس٢- حارس ٣- عبد أسود

زمن العرض : سنة ١١٢٠ ميلاديا تقريبا.

الفصل الأول

(المسرح معدٌّ على هيئة طريق يشبه طرق القاهرة سنة ١١٢٠م ملاديا ، علي اليمن منطقة الأضرحة ومقابر الموتى. وعلى اليسار يمرُّ أمام بعض المنازل، وفي عمق المسرح بحيرة مائية متفرعة من النيل.. يُرفع الستار عن ظلام دامس، تُسمع بعض الأصوات)

صوت : نهيق حمار
صوت : نقيق ضفادع
صوت : موسيقى متداخلة بين الأصوات السابقة
(إضاءة تدريجية على ست الكل، تقف أمام مقبرة أبيها «الملك» ترفع يديها بالدعاء، ثم تقبّلهما، وتمسح صدرها، وتخاطب القبر كأنها تخاطب بشرًا)

ست الكل : أخبرني يا أبي، ماذا أفعل مع أخي، لقد طغى وتجبر على الجميع في مصر، حتى أنّ ابنتك وقرة عينك، أنا ست الكل لم تسلم منه (تنهيدة حارة) ماذا أفعل!، لقد جُن أخي، الآن يدّعي أنه إله، أخشى أن يهجم الناس علينا ويقتلوننا. (يدخل الأمير علاء الدين .. يقترب منها دون أن تشعر)

الأميرعلاء : (بدهشة) من؟ ست الكل أخت الخليفة الحاكم بأمر نفسه وعزيزتي (موسيقى حالمة تشيع جوًا من الرومانسية)

ست الكل : (تلتفت نحوه بفرح وحياء) الأمير علاء الدين، إنها صدفة رائعة لم أكن أتوقع رؤيتك ها هنا.

الأمير علاء : حقًا، إنها صدفة جميلة.

ست الكل : من أين جئت؟

الأمير علاء : (بأسًى) من قصر الخليفة، كنت في اجتماع معه، وما زال مُصرًا على حماية «مازن بدر» أحد

أتباع «حاتم اللباد» صاحب نظرية الحلول.

ست الكل : (بحرقة) حاتم اللباد؟ لعنة الله عليه. هو من لعب برأس الحاكم بأمر نفسه عندما أقنعه أن روح الإله تحل في جسد الحاكم.

الأمير علاء : وجاء الفاسق «مازن بدر» يطلب من الناس أن تُسبِّح باسم الخليفة الحاكم بأمر نفسه؛ لذا هاج الناس عليه، وكادوا يقتلونه. والغريب أن الحاكم بأمر نفسه يصر على حمايته! وبسبب هذا العبث انقسم الجيش إلى جزءين: جزء مع الشعب وجزء مع الخليفة، وأصبحت الفتنة مشتعلة كالنار في الهشيم.

ست الكل : ولكن جُنْد الخليفة أكثر وأقوى؛ فقد اشتراهم بالمال، وأفسد ذممهم.

الأمير علاء : تلك هي المشكلة.

ست الكل : وكيف الخلاص؟

الأمير علاء : الحيلة هي الحل، لن يُكبح جماح الحاكم بأمر نفسه بالقوة؛ فهو من يمتلك القوة الفاتكة، والقوة لا تهزم إلا بالحيلة.

ست الكل : (بشرود) الحيلة؟ ألا تعلم أن الحاكم بأمر نفسه ورجاله هم أصحاب الحيل! ماذا نفعل معهم وهم يمتلكون القوة في العدة والعدد؟

الأمير علاء : (بأمل) ربما نتمكن من إنقاذ البلاد منه.

ست الكل : ها نحن في عام ١٠٢٠ ميلادية، وفي هذا العام تراكمت كل خطايا أخي لتصل إلى حدٍّ لا يُطاق. الغرب ما زال يطاردنا بعد أن هدم كنيسة القيامة بالقدس عام ١٠٠٩، تلك الفعلة الشنعاء نقطة سوداء، والغرب سوف يتخذ منها ذريعة لغزو بلادنا.

الأمير علاء : نعم. هذا التصرف الأحمق ضد تعاليم الإسلام، ويتنافى مع روح السماحة التي أوصانا بها الرسول صلى الله عليه وسلم، مع كل المسيحيين بالشرق.

ست الكل : (بمرارة) هذا الكلام لن يقنع ملوك الغرب

الطامعين في بلادنا، فقد وجدوا مبررًا لمعاودة الحرب، فقد كانت تنقصهم الحجة، اليوم سوف يرفع المتعصبون هناك شعار حماية الصليب لمعاودة الكَرّة في غزو بلادنا من جديد.

الأمير علاء : وسوف يستجيب العامة والبسطاء والجند لتلك الدعاية، وسوف يُسوّق الأمر على أنه حماية للقدس والكنائس من الاضطهاد بالشرق، وسوف يشهد العالم العربي حربًا طاحنة على الأبواب قد تستمر لقرون طويلة، فقد منحهم الحاكم بأمر نفسه حجّةً ثمينة، فمنذ أن تولى الحكم، وهو يُتلف كل قيمة ويهدم كل صرح.

ست الكل : ولولا أنّ فارق ميزان القوة لصالح العرب لتحركت جيوشهم اليوم قبل الغد.

الأمير علاء : وإلى أن تقوم الساعة سوف يستغل السياسيّون هذا الحدث لتأليب المسيحيين لخوض حرب، سيدّعون أنها مقدسة بهدف تحقيق مكاسب سياسية، لقد منحهم الخليفة الحاكم بأمر نفسه مادة خامًا للدعاية لن تموت أو تسقط بالتقادم.

ست الكل : (تذكرت شيئًا ما.. تخبط يديها على صدرها) مصيبة أيها الأمير علاء، لقد نسيت أن أخي الحاكم قد نهاني عن الحديث معك، وهددني بالقتل لو حدث ذلك.

الأمير علاء : (بحسرة).. ياله من وغد سوف يقتلنا سويًا؛ لو علم.

ست الكل : (برجفة) هيًا، فلننصرف كلٌ في طريقه.

الأمير علاء : (برقة) سوف أتركك رغمًا عني (ينصرفان هي في اتجاه المنازل، وهو في اتجاه المقابر) الوداع، فقد كتب علينا الفراق يا حبيبتي.

ست الكل : بل إلى اللقاء، فربما تجمعنا الأقدار ثانيةً. (ينصرفان.. إظلام... برهة من الوقت مع سماع بعض الأصوات التالية في فترة الإظلام)

صوت : نقيق ضفادع

صوت : نهيق حمار
صوت : ضربات بالسوط
صوت الحمار : كفى، ظهري يؤلمني.
صوت الحانوتي : أيها الماكر، أنت تستحق القتل.

(إضاءة على الحانوتي وهو يضرب حماره، يرفع السوط وقد أصابه الإعياء فلا يستطيع ضرب الحمار، ويترنح من التعب حتى يكاد أن يسقط على الأرض)

الحمار : كفى يا سيدي، لقد مزقت جلدي من الضرب.
الحانوتي : (يتنفس بصعوبة) حمار ماكر تريد أن تأكل ولا تريد أن تعمل!. (يدخل جحا من خلف المقابر)
جحا : (بتعجب) على رسلك أيها الحانوتي، لقد أزعجتني، وطار النوم من عيني، كل يوم تضرب حمارك هكذا بلا رحمة!
الحانوتي : (ببلاهة) وما شأنك يا جحا بي أو بحماري! أنا حرّ.
جحا : لقد أزعجتني، ولا أستطيع النوم.
الحانوتي : ارحل عن المقابر، من قال لك أن تسكن بها.
جحا : يا رجل، إلى أين أرحل، فلا دار لي، وليس لديّ مال أشتري به منزلاً، لقد احتلت على الفقر بالعيش هنا.
الحانوتي : إذًا، فلتصمت ولا تتدخل فيما لا يعنيك، وإلا جمعت أصدقائي من أهل المقابر، وطردناك من هنا.
جحا : أنا لم أفعل شيئًا يستحق الطرد، كل ما أرجوه منك الرفق بهذا الحمار المسكين.
الحانوتي : هو لا يريد العمل، ويتلكأ في السير؛ لذا يستحق الضرب.
جحا : يا رجل، أنا بأم عيني أراه يعمل طوال النهار، ومنذ الفجر حتى غروب الشمس! ماذا تريد

أكثر من ذلك؟

الحانوتي : (بتصميم) ويجب أن يعمل أيضًا طوال الليل.

حجا : ألا يستريح يا رجل؟

الحانوتي : لا وقت للراحة عندي، فالحاكم بأمر نفسه يمنع فتح الدكاكين والأسواق بالنهار، وعليه أن ينقل بضاعة البائعين، فمن أين آتي بالمال إذا لم يعمل ؟!.

جحا : سيموت منك، والرفق بالحيوان مطلوب.

الحانوتي : أصحاب المحلات يدفعون الكثير.

جحا : إذًا، دعه يرتاح بالنهار ليعمل بالليل.

الحانوتي : (برفض) كيف يرتاح بالنهار وهو يجر عربات الموتى، وينقل الطوب للبنّائين لبناء المقابر؟

جحا : أنهكتني يا رجل بجدلك، عليك أن تختار إما أن يعمل بالليل أو يعمل بالنهار.

الحانوتي : (بتهكم) سيعمل بالليل والنهار، ما شأنك أنت أيها البارد؟

الحمار : (بثورة) هذا ظلم، لا أستطيع أن أعمل ٢٤ ساعة في اليوم، هذا مستحيل.

الحانوتي : (للحمار بغباء) فقط تستطيع أن تأكل الفول والتبن والبرسيم.. تبًا لك أيها الكسول.

الحمار : على رسلك يا رجل؛ فأنا لم أذق طعم البرسيم منذ الصباح، (ينظر لجحا) هل حفنة فول صغيرة تسد رمق حمار يحمل الطوب والأثقال طوال اليوم يا جحا ؟!

جحا : (بتعجب مازحًا.. دعني أفكر)(بعد برهة) بالتأكيد لا تكفي، ولكن صاحبك لا يسمع لرأي أحد.

الحانوتي : (بغضب يهوي بالسوط على ظهر الحمار) أصمت أيها الغبي، تشكوني للأغراب؟ الويل لك (يكرر الضرب)

الحمار : آه. ظهري يؤلمني، كفاك ضربًا.

الحانوتي : تشهّر بي أيها الحمار الكسول؟ وأمام من!، أمام جحا! ذاك الرجل المذيع، جحا سوف ينقل قصتي

لكل المدينة، وسيجعلني موضع سخرية الجميع، فجحا لا يجيد سوى الكلام والحكي.

الحمار : (بتوسل) أرجوك لا تضربني. (تدخل بهيّة تحمل مشنة بها سمك)

بهية :(بشفقة) ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء.

الحمار : أنقذني يا جحا.

جحا : ليس بيدي شيء.

الحمار : أين حيلتك يا جحا؟

جحا : سوف أبحث عنها لعلي أجد منها بقايا تنفعك.

الحانوتي : (لجحا) انفع نفسك أولًا. (للحمار) تحرك أمامي للعمل. (يتحرك الحانوتي في اتجاه المنازل حتي يختفي هو وحماره)

جحا : (لبهية) هذا رجل غليظ القلب.

بهية : (برقة) ساعد هذا الحمار المسكين، وخلّصه من ظلم الحانوتي، فكما نئن نحن من ظلم الحاكم بأمر نفسه يئن هذا الحمار من الحانوتي.

جحا : (وهو يفكر) كيف أنقذه يا بهية؟

بهية : بحيلة من حيلك.. أنت صاحب العقل الواعي! وتسأل كيف!

جحا : لقد عرضت عليه شراء الحمار من قبل، ورفض.

بهية : لابد من حل لإنقاذ هذا الحمار المسكين.

جحا : كلنا مثل ذاك الحمار.

بهية : (برفض) لا تقل ذلك يا جحا، فنحن بشر، والحمار حيوان.

جحا : (بتنهيدة عميقة) لا تتعجبي نحن إخوته في الشقاء والهم.

بهية : أصبت. لقد أصبحنا كحمار الحانوتي نعمل بدون أجر أو حق، الحاكم بأمر نفسه سلبنا القدرة على الفعل وردّ الفعل.

جحا : (وقد تذكر) لماذا خرجتِ الآن يا بهية؟ هذه

مجازفة؛ فالحاكم بأمر نفسه يمنع خروج النسوة ليلًا، بذلك أنت معرضة للعقاب حال ضبطك.

بهية : (بلا مبالاة) لم أعد أهتم بأيّ مصير، ما أخرجني إلا أطفالي، لا توجد كسرة خبز بالمنزل، وهم يصرخون الآن من شدة الجوع، وكما تعلم فأنا أرملة تعاني الفقر والعوز، ولا يوجد عونٌ من أحد. (تصرخ) كل ما أجده فقط أحكامًا وعقوبات وظلمًا وفقرًا.

جحا :(بثورة) تبًا لهذا الظالم، لقد أصدر فرمانات بتحريم بيع العنب والعسل بحجة أن الخمر تصنع منهما، ولكن لماذا يحرّم الجرجير أيضًا؟ هل تصنع منه الخمور أو خطر على أمن البلاد ؟!

بهية : (بانكسار) لسوء حظي أن الحاكم بأمر نفسه أصدر قرارات ظالمة، ومنع بيع السلع التي كانت محلًا لتجارتي وكسب قوتي.

جحا : (بتعجب) هل جُن الرجل؟ أو ضربه بعضٌ من المس؟ إنه يقول إن الملوخية أيضًا محرمة! وعندما سُئل عن سبب التحريم ذكر أن معاوية السني كان يحبها؛ ولذلك حرّمها لأنه يكرهه.

بهية : ما علاقة الخلاف السياسي بين السنة والشيعة بالطعام؟ معاوية كان يحب الماء هل امتنع الحاكم بأمر نفسه عن شرب الماء؟

جحا : (بضجر) هكذا تُفسد السياسة الحياة والدين، تبًا لهؤلاء السياسيين يخلطون الحابل بالنابل بلا مبرر.

بهية : يجب أن ينتهي الخلاف بين السنة والشيعة للأبد. فهو مدخل لكل حاقد كي ينفث سمومه بين الأمة كلها.

جحا : (لنفسه) ألا يوجد حل؟ ها هو الخليفة الشيعي الحاكم بأمر نفسه يحرّم الملوخية لأن غريمه السني كان يحبها.

بهية : تبًا للطائفية متى وجدت؟ (تنظر إلى جحا)

فالجميع يكتوي بنارها (تصرخ في جحا) متى تنتهي تلك المذهبية البغيضة؟ (بانكسار) أخبرني بالله عليك إلى متي سوف أدفع أنا وكل المقهورين ثمن هذا الخلاف، قل متى يا جحا ينتهي هذا الأمر؟

جحا : (بيأس) عندما يتفق الطرفان على ثوابت الدين، وأظن أن أنصاف المتعلمين سوف يعرقلون ذلك، (بأمل) وربما يأتي اليوم الذي يتوحد فيه المسلمون نحو هدف واحد. (يقطع الطريق على تساؤلاتها بصوت مرتفع) ولا تسأليني متى سوف يأتي هذا اليوم. فأنا لا أدري (يدخل الصياد).

الصياد : (لبهية محذرًا) ما زلت هنا يا سيدة بهية؟ يجب أن تنصرفي قبل قَدوم أحد من العسكر، فأنت تحملين سمك القراميط، معك جسم الجرَيمة.

جحا : (بهلع) سمك القراميط يا بهية؟ تلك كارثة، فلو ضبط معك لعقدت محاكمة فورية، إن الحاكم بأمر نفسه يحرم صيده وبيعه أو حتى أكله (ينظر للصياد ويشير بالسبابة نحو السمك) هذا هو جسم الجريمة (يشير نحو الصياد) ومنفذها الصياد سوف أضيع معكما، لو جاء عسكر الحاكم وضبطوني معكم!.

الصياد : (يضحك بلا مبالاة) على رسلك يا رجل، ولا تكن ضعيف القلب هكذا.

جحا : (بتعجب) متى امتلكت تلك الشجاعة؟ منذ لحظات كنت مذعورًا.

الصياد : ربما أن مصارعة الموت جعلتني متقلب المزاج، تارة أخاف وتارة لا أبالي؛ فأنا كل يوم أصارع الموج في النهر ومعرض للغرق في أيتها لحظة. (بحزن) ربما خوفي على أولاد تلك المرأة المسكينة هو ما يؤرقني؛ فهو يجعلني أتذكر مصير أولادي الصغار لو قبض عليّ متلبسًا بالصيد. اليوم قد أصبح العمل جريمة (يضحك بلا مبالاة ويأس)

في هذا الزمن أن تمارس حقك في الحياه تصبح معرضًا للمحاكمة.

بهية : الخطر على الجميع (بهستيريا) حتى من يأكل سمك القراميط هو الآخر معرّضٌ للمحاكمة.
(الجميع يضحكون في صخب)

الصياد : تصوّر يا جحا أن الجند عندما يضبطون أحدًا يشوي سمك القراميط يحرزونها، ثم يأكلون نصف الأحراز، ويرسلون النصف الباقي للقاضي، فما يكون من الحاجب إلا أكل نصفه، ثم يأكل القاضي النصف الباقي.

الجميع : يضحكون

جحا : (يضحك) عندما كنت أشم رائحة السمك على الفور أرتدي زي الجند، وأذهب للجاني وهو يطهو السمك، وبدقة أفحص الشواء فإذا كان قراميطًا أصادرها، وعندما ترتفع نبرة التوسل من الصيادين أعفو عن المتهم، وألوذ بالقراميط وألتهمها التهامًا.

الصياد : (يضحك بهستيريا) كثيرًا ما كنت أراك تفعلها، فالجوع كافر كما يقولون.

جحا : (بندم) والله هذا كان يحدث رغمًا عني؛ فقد أصبحت عاطلًا بعد كساد تجارتي، فقط كنت أبيع العسل، والحاكم يحرّم بيعه، بعت كل ما أملك حتى أعيش، حتى منزلي بعته، وجئت هنا أشارك الموتى في هذا المكان، أنا اليوم عاطل وجائع ومشرّد.

الصياد : (بحنان) تعال معي شاركني في الصيد.

جحا : تقصد أشاركك في انتظار الموت.

بهية : لا تكن جبانًا يا جحا. اقبل هذا العرض؛ فالصيد مهنة شاقة تحتاج لرجلين أحدهما يجدف والآخر يرمي الشباك.

جحا : (يحسم أمره بقوة) سوف أقبل وليكن ما يكون، لقد سئمت التسول من أهالي الموتى في هذه المقابر، فأنا أريد أن أعيش من كد يدي مهما

كانت العواقب.

بهية : اتفقنا. ونصبح شركاء في الصيد، ولكلٍّ منا دور، وأنا دوري أن أبيع القراميط في الحواري والأزقة، فجنود الحاكم وعيونه لا تصل إلى هناك.

جحا : وأنا سوف أبيع البلطي والبياض في السوق فهو غير محرم. (يتذكر) ولكن الأسواق لا تعمل في بلادنا إلا ليلًا كما أمر الحاكم بأمر نفسه (يتراجع) سوف أبيعها نهارًا، نعم الحارات والأزقة بعيدة عن عيون العسكر.

الصياد : تعال معي يا جحا نستريح بضع ساعات قبل نزول النهر.

جحا : ولكن حمار الحانوتي يحتاج إلى معاونة، يجب إنقاذه من ظلم هذا الرجل، فالرفق بالحيوان خلق حميد.

بهية : أنت صاحب الحيل، فكّر في حيلة تنقذ هذا الحمار المسكين.

جحا : (بحذر) سوف أفكر، ولكن أخشى من الفشل.

بهية : (بتحدٍّ) إذا امتلكت العزيمة سوف يكلل مجهودك بالنجاح.

الصياد : (بأمل) ربما.

جحا : (بثقة) أعدك سوف أحاول هذا، إذا نجونا نحن من ملاحقة جنود الحاكم بأمر نفسه.

(إظلام)

(إضاءة تدريجية على نفس المشهد السابق مع موسيقى جنائزية؛ حيث القس حنا يعلق في رقبته صليبًا حديديًا ثقيلًا يجعله يتحرك بصعوبة.. واليهودي سمعان يرتدي زيًا أسود، والشيخ علي بالعمامة الأزهرية يتلقى منهما العزاء في وفاة زوجته)

القس حنا : البقاء في حياتك يا شيخ علي.

الشيخ علي : بارك الله فيك أيها القس حنا.

سمعان : جعلها الله آخر الأحزان، يا شيخ علي.

الشيخ علي : (بمرارة) المفتري الحاكم بأمر نفسه يمنع النساء من الخروج ليلًا، وهذا حرمني من الذهاب بزوجتي أم أيمن للماريستان للكشف عليها وعلاجها.

القس حنا : الظلم طال الجميع، وها أنت ترى أن المسيحيين أجبروا على ارتداء هذه الصلبان الحديدية الثقيلة في الرقاب، يا شيخ أنا لا أكاد أرفع رأسي من هذا الصليب الثقيل.

سمعان : ومن يخالف الأوامر تطير رقبته في الحال.

القس حنا : لم أعد قادرًا على الصبر، ولا أخرج من الكنيسة حتى أتلاشى لبس هذا الصليب الثقيل، ولولا قدرك يا شيخ علي ما خرجت من الكنيسة.

الشيخ علي : يا أخي، سوف يزول الظلم قريبًا.

سمعان : متى يا شيخ علي؟ فنحن معشر اليهود قد أجبرنا على ارتداء الملابس السوداء أو الزرقاء.

القس حنا : لون الزي ليس بمشكلة، أنت أحسن حظًا منّا.

سمعان : (بحزن) ولكن هذا الزي دلالة على العنصرية، إنه يشبهنا بأعدائه السابقين، ونحن لا ذنب لنا في الظلم الذي تعرضت له طائفته بسبب السياسة.

الشيخ علي : السياسة أفسدت جزءًا من الدين، ودفعت بعض الشرائح إلى الغلو، وهكذا يدفع الناس ثمن تهافت بعض الطغاة على الحكم، لقد حرّف بعض العلماء عن عمد تأويل بعض الآيات والأحاديث.

القس حنا : صدقت يا شيخ علي، فعلى الرغم من أننا مصريين إلا أنه ما زال يضطهدنا بسبب الدين ولا يراعي فينا عهدًا ولا ملة.

الشيخ علي : ربما كان اسمي هو من شفع لي، فاسم علي هو اسم الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لقد هدم الحاكم بأمر نفسه مسجد عمرو بن العاص بالإسكندرية منذ عام؛ ولذا تركتها وجئت للقاهرة، لعلي أستطيع رفع الظلم أو

التفاوض مع الخليفة، ولكني وجدته دون عقل.

سمعان : أظن أن الرحيل قد حان حتى تستريح يا شيخ علي، فأنت منذ الصباح في مشقة.

الشيخ علي : (بصوت مرهق) نعم. أنا منهك، ولكني شاكر لكما وقوفكما معي منذ الصباح حتى الآن.

القس حنا : (بجدية) لا تقل هذا، نحن أهل.

الشيخ علي : (بامتنان) بالفعل نحن أهل، هيا بنا (ينصرف الجميع بالتزامن مع موسيقى توحي بالتوتر. برهة.. ويدخل الحارس١ وهو يقبض على الصياد، والحارس٢ وبهية في يده)

الحارس١ : أيها الوغد، تخالف قرارات الخليفة وتصطاد القراميط من النهر.

الصياد : (بخوف) لا ذنب لي، فكلما رميت الشباك وجذبتها خرجت مليئة بها.

الحارس١ : يا محتال.

بهية : (بتوسل) اتركني أيها الحارس، أريد العودة لأولادي.

الحارس٢ : (بصلف) كيف أتركك أيها الشقية، لقد أذنبت مرتين، مرة بخروجك ليلًا مخالفة قانون النسوة، ومرة متلبسة بحمل القراميط خلسة، والشروع في بيعها مخالفة لأوامر الخليفة.

بهية : (بتضرع) ما هذا البلاء، ارفعه يا ربي.

الحارس٢ : صه أيتها المارقة، أتدعين على الخليفة! هذا ذنب ثالث في لائحة الاتهام.

بهية : (تتراجع خوفًا) أنا لا أدعو على الخليفة، أنا أدعو على نفسي (تصرخ) متى أفارق هذه الحياة، كفى مذلة ومهانة؛ فباطن الأرض أصبح خيرًا لي من الحياة على ظهرها. (تهز الحارس) أتوجد مهانة أكثر من عجز أم عن إطعام صغيرها!؟ أيوجد ذل أكثر من تخبط أرملة بين الخطوب لتعود برغيف خبز لأولادها.

الحارس٢ : (برقة) زوجك ميت؟

بهية : نعم.

الحارس٢ : ومن يتولى أمر أولادك؟

بهية : أنا ولا أحد غيري. فقد فقدت إخوتي وأهلي عندما ضرب الطاعون بلدتنا، وفقدت زوجي عندما هاجمه اللصوص وهو عائد من عمله، فقد رفض إعطاءهم ربع دينار كان معه، فقتلوه، ليته أعطاهم ربع الدينار وظل سالما.

الصياد : (بتوسل) كلنا نعاني. أرجوكم اتركونا، الخليفة سيأمر بقطع رؤوسنا.

الحارس١ : لا نستطيع. فقد كان قائد الحراس معنا أثناء القبض عليكما.

بهية : (بهلع) ستطير رأسي؟ وأولادي من يرعاهم؟ (بحزن) لو كان موتي مقابل حياتهم ما ترددت في معانقة الموت بالأحضان، ولكن الكارثة أن موتي مقابل موتهم، أو أن موتي مقابل تشردهم، أو أن موتي مقابل ضياعهم.

الحارس١ : (بحسم) كل هذا العويل لا يجدي؛ فقد نفذ السهم، عليكما أن تجيبا على سؤالي.

الصياد : أي سؤال؟

الحارس٢ : من هو الشخص الثالث الذي كان معكما؟

الصياد : لم يكن معنا أحد.

الحارس٢ : هذا تستر على مجرم هارب من العدالة.

بهية : (بتهكم) هارب من العدالة؟ أي عدالة تلك التي تحرم البشر من حق الحياة.

الحارس١ : لا داعي للإنكار. من هو؟

بهية : ربما كان شخصًا لا نعرفه، أمطلوب منا أن نعرف كل شخص يقترب من النهر؟ الجو كان مساءً ولم نتعرف عليه (يدخل جحا)

الصياد : (همسًا) من جاء بك أيها الأحمق؟ الآن سوف يقبضون عليك، فأنت ثالثنا.

الحارس١ : ماذا تقول؟ وبم تهمس؟

الصياد : (مرتبكًا) أدعو الله بأن ينجيني.

جحا : (للحارس٢) أيها الحارس، رأيت رجلًا يحمل القراميط، ويفر في اتجاه تلك المنازل.

الحارس١ : هل تعرفه؟
جحا : كلا، لا أعرفه.
الحارس٢ : أنت لا تعرفه، وهذان لا يعرفانه، إذًا قد فرَّ هذا المارق.
بهية : (همسًا) حسنًا، لقد نجوت يا جحا.
الحارس٢ : بماذا تهمسين يا امرأة؟
بهية : لا عليك يا رجل، فالخوف يجعلني أردد كلامًا لا معنى له.
جحا : (للحارسين) تضيعان الوقت، والرجل الذي تبحثان عنه هناك!. هيّا اقبضا عليه قبل فراره.
الحارس : وهذين المذنبين؟ ماذا نفعل بهما لو تركناهما يفرّا؟
جحا : سوف أتولى أنا حراستهما لحين عودتكما.
الحارس٢ : لا. لن نغادر وراء الرجل؛ فمسئوليتنا تنحصر في القبض على هذين، وخاصة أن قائد الحرس ألزمنا بهما.
جحا : (بيأس) لا فائدة.

(الإضاءة تخفت تدريجيًا مع تعالي موسيقى البروجي حتى تصل إلى أعلى درجة؛ فتنفرج الإضاءة على الخليفة الحاكم بأمر نفسه؛ فيدخل ومعه قائد الحرس)

الجميع : (بانحناء) مولاي الخليفة الحاكم بأمر نفسه.
الخليفة : (يشير بكبرياء وحمق) ما شأن هؤلاء؟
قائد الحرس : ضبط هذا (يشير إلى الصياد) يصطاد سمك القراميط (يشير إلى بهية) وتلك تعبؤها تمهيدًا لبيعها (يشير إلى جحا) وهذا شاهد جاء يشهد عليهما.
الخليفة : (بعصبية) أوغاد (يتساءل) ما زال أحدٌ من رعيتي يأكل سمك القراميط؟
الصياد : بريء يا مولاي، فأنا لم أقترف ذنبًا.
بهية : مظلومة يا سيدي الحاكم بأمر نفسه.

الخليفة : (بتهكم) كلكم تدّعون البراءة عندما تُضبطون، السيف هو الحل، نعم أمثالكم لا يستحقون الحياة.

جحا : (بخشوع) مولاي الخليفة الحاكم بأمر نفسه، أنا شاهد.

الخليفة : من أنت؟

جحا : أنا جحا.

الخليفة : (يضحك بسخرية) أنت جحا فارس القصص والأمثال التي تملأ الدنيا؟

جحا : (بتودد) لست أنا، ولكن أطلقت أمي عليّ هذا الاسم حتى أعيش؛ فقد كان كل أخوتي يموتون بعد الولادة مباشرة.

الخليفة : حسنًا، ماذا رأيت يا جحا؟

جحا : رأيت العجب يا مولاي، هذا الرجل كلما يرمي الشبك في النهر يخرج مليئًا بالمنكر، وسمك القراميط الفاجر يتلاعب أمامه؛ كأنه يقول أنا موجود في هذا النهر عنوة، ولا يستطيع أحد أن يخرجني منه، وسوف أظل أنا الملك في هذا النهر.

الخليفة : (بتعجب) أهو قال ذلك؟

جحا : كأنه يقولها يا مولاي كناية وليس تصريحًا؛ فهو قد توحش نتجية إحجام الصيادين عن صيده امتثالًا لأوامر جنابكم، وبسبب ذلك التوحش أكل كل أنواع السمك الأخرى، وتمكن من العيش وحيدًا في النهر.

الخليفة : يجب القضاء عليه.

جحا : ها أنت قد حكمت يا مولاي (بمداهنة) ونعم الرأي، وهذا الصياد سمعته بأم أذني يقول يجب تنظيف النهر من سمك القراميط وصيده وإعدامه حتى لا يجرؤ أحد فيما بعد على مخالفة أمر الخليفة.

الخليفة : أهو قال ذلك حقًا ؟

جحا : (بسرعة) نعم. وكان يقوم بصيده، وهذه المرأة

تحمله في مشنّتها لإعدامه؛ حتى لا يأكله أي مواطن ويقع في الخطيئة.

الصياد : (بسرعة البديهة) وقد عطلني عن العمل هذان الحارسان.

بهية : (بمكر) ذنبنا أننا أخلصنا لك يا مولاي!.

الخليفة : (يضحك بثقة) هذا وفاء نادر.

بهية : كلنا فداؤك يا مولاي.

الخليفة : (بحسم) ولكن هذه المرأة وقعت في مخالفة أخرى؟ خرجت ليلًا مع أني قد حرّمت خروج النساء بعد الغروب.

جحا : يا مولاي هي أرملة وعفو جنابكم هو الأمل؛ فهي تربي أطفالًا صغارًا، ويشفع لها أنها تربيهم على حب مولاي.

الخليفة : (برضا) حقًا تربّي أطفالك على حبّي؟

بهية : نعم يا مولاي.

الخليفة : (يضحك بهستيريا) إذًا، من أجلك يُسمح لكل الأرامل بالخروج بعد الغروب لقضاء الحوائج. (ينظر لقائد الحرس) أعطي هذه المرأة والصياد وجحا شارة الأمان حتى لا يتعرض لهم أحدٌ، وأعطي كلًا منهم كيسًا من الذهب.

قائد الحرس : (يتقدم ويناول كل شخص إشارة خضراء وكيسَ نقود)

الجميع : (بفرح) جُزيت خيرًا يا مولاي.

جحا : (بمكر) ولكن هناك أمر آخر يستحق أن تعلمه يا مولاي الخليفة.

الخليفة : ما هو؟

جحا : حمار الحانوتي يا مولاي هو الحمار الوحيد في الشرق الذي حرّم أكل الملوخية عندما علم بقراركم بتحريمها. (يظهر الحانوتي بجوار المقبرة يستطلع الأمر بحذر)

الحانوتي : (يهمس بخبث) أيها الماكر تريد أن تغضّب الخليفة مني؛ لتطير رأسي (يتحسس رقبته)

الخليفة : (بفرح) حمارٌ كهذا جدير به أن يكون حمار

الخليفة: فأنا أركب الحمير عندما أذهب لخلوتي كلَّ أسبوع في هذه المقابر. (للحارس١) اذهب أيها الحارس وأحْضر هذا الحمار، وخذه إلى الأرباخانة الملكية (يشير إلى بهية والصياد) انصرفا لعملكما (ينصرفان)

قائد الحرس : (ينظر إلى الحانوتي) مولاي، هذا هو الحانوتي صاحب الحمار الوفي.

الخليفة : أقبل أيها الرجل.

الحانوتي : (يأتي مهرولًا) لبيك مولاي الخليفة.

الخليفة : أريد حمارك على الفور.

الحانوتي : كلنا لك يا مولاي. (همسًا دون أن يسمعه أحد) تبًا لك يا جحا، أقسم أنني سوف أوقعك في شر أعمالك.

الخليفة : بماذا تهمس أيها الحانوتي؟

الحانوتي : كنت أدعو لك في سرّي.

الخليفة : حسنًا.

الحانوتي : (بمكر) ولكن لدي اقتراح مهم يا مولاي الخليفة وأرجو أن تسمعه مني.

الخليفة : هات ما عندك.

الحانوتي : (بلِين) بما أن الحمار أصبح حمارًا سلطانيًا؛ فأنا أقترح أن يقوم جحا بتعليمه القراءة والكتابة.

الخليفة : (يضحك بهستيريا) حمار يتعلم القراءة والكتابة! هذا مستحيل.

جحا : صدقت يا مولاي.

الحانوتي : اسمح لي مولاي أن أذكركم بأن الحمار الذي يفهم تعليمات جنابكم ويمتنع عن أكل الملوخية المحرمة هو حمار يفهم، وكل من يفهم يمكن تعليمه، وجحا أقدر الأشخاص على القيام بالمهمة، وإلا يكون كلام جحا هُزوًا، ومن يخدع الخليفة يستحق الذبح بسيف مسرور السياف.

جحا : (همسًا) أيها اللعين، تريد مني الرفض أو الاعتذار لاستحالة تنفيذ المهمة حتى يقتلني الخليفة بتهمة خداعه.

الخليفة : (بتعجب) بماذا تهمس؟

جحا : (بمكر) لقد راقني هذا الاقتراح، ولكن تعليم الحمار الكتابة ربما يستغرق عشر سنوات.

الحانوتي : كتابة اسم الحمار فقط تحتاج هذه المدة! (باستنكار)

جحا : (بتراجع) هذا يستغرق ثلاث سنوات.

الخليفة : حمار يكتب اسمه (يضحك بهستيريا) فكرة. ولكن قد أمهلناك عامًا واحدًا من الآن، ولقاؤنا في مارس عام ١٠٢١ ميلاديًا؛ لكي أستلم منك الحمار يكتب اسمه، وإلا طارت رأسك (وهو يهمُّ بالانصراف) عليك يا جحا من الغد أن تتولى مهمتك في اصطبل القصر. (لقائد الحرس) جهّز له كل ما يريد، أنا ذاهب لخلوتي في هذه المقابر حتى الصباح. (ينصرف ومعه الجند نحو المقابر)

الحانوتي : (يضحك بسخرية) حيلتي أقوى من حيلك أيها الوغد، فبعد عام سوف تقطع رأسك.

جحا : (بتماسك مصطنع) لن تنال غرضك؛ فأنا كنت أبغي الخير، وكان هدفي إنقاذ الحمار المسكين من ظلمك.

الحانوتي : (بتهكم) الرفق بالحيوان!، هذا كلام أجوف، وسوف تُهزَم.

جحا : (تعود نبرة الثقة لحديثه) لا يمكن للشر أن ينتصر على الخير مهما طال الوقت.

الحانوتي : (بتشفٍّ وهو ينصرف) سوف أرى رأسك على أعواد المشانق بتهمة خداع الخليفة.

جحا : (بقلق همسًا) هل ستقطع رأسي، المشكلة أن تعليم الحمار كتابة اسمه أمر مستحيل. هل هناك أمل في النجاة؟ لا أدري. (يصرخ) لا أدري.. لا.. لا. وارأساه.

(ستار على نهاية الفصل الأول)

الفصل الثاني

المشهد الأول

(المسرح معدٌّ على هيئة حديقة كبيرة أمام قصر الخليفة الحاكم بأمر نفسه، وفي عمق المسرح سلم فخم كمدخل إلى قصر الخليفة، وعلى اليمين فسقية وبعض الأشجار، وعلى يسار المسرح مدخل صغير وبجواره يافطة مُدوَّن عليها بيت الحمار، وسبورة لتعليم الحمار، تُسمَع أصوات لشقشقة العصافير قبل رفع الستار بدقائق، تنتهي مع إضاءة المسرح بكامله على جحا يقف أمام السبورة يشرح للحمار)

جحا : (في حالة غضب) أرجوك اقرأ معي ولو لمرة واحدة.

الحمار : ينهق بحرارة.. هأ هأ هأ

جحا : (بضجر) مضت ستة أشهر ولم تستطع كتابة حرف واحد، أو حتى تنطق حرفًا نطقًا صحيحًا، رأسيٌ سوفَ تطير أيها اللئيم. لقد كنت ذكيًّا قبل مجيئك إلى هذا القصر، ماذا حل بك؟ هل هي تخمة الرفاهية؟

الحمار : لقد ورَّطت نفسك يا جحا، وأنت تعلم أنه لا يوجد حمار يستطيع الكتابة أو القراءة.

جحا : (بتوسل) أرجوك أن تهدأ، وسنحاول معًا من جديد.

الحمار : لا تتعب نفسك. كل المحاولات معي فاشلة؛ فأنا كما تعلم حمارٌ ابن حمار.

جحا : (بمرارة) أنا لا أشك في نسبك، أيها الحمار لقد ضحيت بنفسي من أجل إنقاذك، حاول معي، هل ترضى أن يكون جزاء جحا هو القتل؟، هل تريد أن ترى الحانوتي يشمت فيّ؟

الحمار : سوف أحاول؛ لأنني أحبك.

جحا : (يستدير نحو السبورة ويكتب بالطباشير حرف

الألف) قل معي: ألف.

الحمار : (بتلعثم) ألف.

جحا : (بإغراء) جميل. قلها مرة أخرى، وسوف أحضر لك حزمة برسيم طازجة مكافأة لك.

الحمار : (ينهق بفرح) برسيم!، أريد البرسيم.

جحا : (غاضبًا) أيها الحمار، ألا تفهم؟ قلت لك البرسيم بعد أن تقرأ قراءة صحيحة، هيّا ردّد ورائي.. ألف فاتحة أ.

الحمار : (بغباء) من فتح الألف؟ إنه سليم، ولا يوجد به أي فتحات أو ثقوب.

جحا : يا غبي، الفتحة والكسرة والضمة من علامات الإعراب في اللغة العربية.

الحمار : لا أريد علامات الإعراب، أريد الحروف كما هي فقط.

جحا : (يشير إلى الألف) اقرأ هذا الحرف.

الحمار : لقد نسيت.

جحا : (يصرخ بتعصب) سوف أعلمك أن تمسك القلم بفمك وتكتب حرف الألف على هذه السبورة.

الحمار : (برفض تام) لا أريد القلم في فمي، فكلما وضعته بين أسنَّاني تكسّر، وهذا يغضبك، وأنا لا أريد أن أغضبك.

جحا : حاول برفق، ولا تضم عليه أسنانك بقوة. (جحا يضع القلم في فم الحمار، ويتجه نحو السبورة) اكتب.

الحمار : لقد نسيت شكل الحرف يا جحا. (يسقط القلم على الأرض)

جحا : (بغضب ينحني ويلتقط القلم) هل أنت حمار؟ الألف مثل كوز الذرة.

الحمار : (بفرح ينهق) كوز الذرة، أريده، اشتقت إليه يا جحا، من فضلك أعطني كوز ذرة.

جحا : (بتعجب) أيها الحمار، ماذا حدث لك!، سابقًا عند الحانوتي كنت تكاد أن تموت من الجوع، واليوم تكاد أن تموت من التخمة، ترفّق بنفسك،

كثرة الطعام ضارة بك، ألم تأكل منذ نصف ساعة بعد الحصة الأولى حزمتين برسيم وكوزين ذرة!، وشربت نصف دلوٍ من الماء، انتظر الفسحة وسوف يُعدّ لك العلّاف وجبة دسمة.

الحمار : (بإصرار) باقي كثير من الوقت، وأنا أريد الطعام، فقط دعني أتناول الذرة؛ فأنا أحبها، وبعدها ستجدني أحفظ عن ظهر قلب كلّ ما تقوله، أنت تعلم يا جحا أن التعليم صعبٌ، كان الله في عوننا.

جحا : (بتهكم) العلم صعب!، العلم نور أيها الحمار.

الحمار : أنا لم أخلق للعلم يا جحا، وظيفتي هي أن أحمل الأثقال والإنسان، أنا حمار أحمل فوق ظهري كلّ متاع يفيد البشر، وذاك هو حد علمي ونطاق معرفتي.

جحا : (باقتناع) صدقت، سوف أمنحك راحة عشر دقائق لتأكل؛ لعل الفرج يأتي من حيث لا أحتسب. (يهز رأسه بأسًى) أو لعلني أموت. (يمسح رأس الحمار برفق) هيّا ادخل وتناول ما تشاء، يكفيني أني جعلتك تعرف يومًا ما معنى الشبع (ينصرف الحمار للداخل) ويكفيني مثلك أني عرفت معنى الشبع مثلك (بتعجب) فقد خصص الخليفة لي طبّاخًا مخصوصًا يلبي طلباتي كلها، حقًا إن لله في خلقه شئون (يدخل قائد الحرس)

قائد الحرس : (بتهكم) كيف حال حمارك يا جحا؟

: بخير.

جحا : يا لك من ماكر، وهل يعقل أن يتعلم الحمار

قائد الحرس القراءة والكتابة؟

: أنا أحاول.

جحا : أيها الداهية، لقد اخترت هذا المكان بالذات؛

قائد الحرس لكي يراك كل من يدخل إلى القصر وكبار رجال الدولة.

جحا : (بدهاء) وما العيب في ذلك؟

قائد الحرس : أنت بذلك تشهّر بالخليفة، وتكاد تتهمه بالجنون؛ فلا يمكن لحمار غبيّ أن يتعلم فن الكتابة.

جحا : وكيف لك أن تحكم، ولم يمر العام؟

قائد الحرس : بالمنطق أيها الألعُبان.

جحا : وهل المنطق أقوى من الخليفة؟ فهو قد أقر ذلك.

قائد الحرس : المنطق أقوى من الجميع.

جحا : (بدهاء) توقّف يا رجل. لقد ضبطتك متلبسًا بسبّ الخليفة، وسوف أبلغه أنك قلت إن المنطق أقوى من الخليفة.

قائد الحرس : (برجفة) إنها زلة لسان.

جحا : (باستغلال وانتهازية) وما هو مقابل صمتي؟

قائد الحرس : لك عندي خدمة خاصة.

جحا : سأفكر.

قائد الحرس : أرجوك يا جحا؛ فالخليفة حاسم، وأي خطأ من أحد رجاله يساوي رقبته، فقط كنت أسرّي عن نفسي معك.

جحا : لقد علمت أن الخليفة سوف يشكل لجنة لتقيّم الحمار من خبراء التعليم، وهو بصدد إعداد مرسوم بذلك.

قائد الحرس : نعم أعلم ذلك.

جحا : خدمتي أن ترشح لجنة لينة لتختبر مستوى الحمار حتى أكمل العيش لمدة أربعة شهور باقية على انتهاء العام.

قائد الحرس : لك ذلك، هل ترشح أحدًا لعضوية اللجنة.

جحا : أرشح الشيخ علي، والقس حنا، واليهودي سمعان.

قائد الحرس : سوف أسلم تلك الأسماء لكاتب الديوان لكي تكون هي اللجنة بكاملها، ما رأيك؟

جحا : (بفرح) اتفقنا.

قائد الحرس : إذًا، سوف أتركك مع حمارك، ولن أتكلم معك مرة أخرى حتى لا أقع في الخطأ ثم تهددني،

بالإذن يا جحا. (ينصرف)

جحا : (بسعادة) بعد أربعة شهور ربما يموت الخليفة أو الحمار فأنجو. (بأسًى) أو يموت جحا؛ فيستريح. (تدخل بهية والصياد)

الصياد : كيف حالك يا جحا؟

جحا : أنتظر مصيري يا صديقي. (ينظر لبهية) مرحبًا بك يا ست بهية.

بهية : (بحزن) نحن في قلق عليك يا جحا، ونريد مساعدتك كما أنقذتنا.

جحا : لا عليكما، فأنا لا أريد أن أُسبب مشاكل لكما.

الصياد : (بجدية) رقبتي فداؤك.

بهية : وأنا كذلك طوع أمرك.

جحا : (بجدية) المهم، أريد معرفة كل أحوالكما بالتفصيل.

بهية : نحن بخير، وكل شيء على ما يرام.

الصياد : (بفرح) ونحقق أرباحًا كثيرة.

بهية : نحن نبيع القراميط في كل أنحاء القاهرة.

جحا : (بدهشة) والحرس؟

الصياد : لقد انحازوا لنا.

جحا : كيف؟

بهية : في البداية كنا نعطي لكل حارس «كيلوويْن» من السمك؛ لكي يقوم هو بإعدامهم بمعرفته، وكنا نعلم أنه سيذهب إلى منزله ليعد ما أخذه منا؛ لكي يأكله.

الصياد : وكنت أتعمد زيارة الحارس في منزله بعد؛ ساعتين فأضبطه متلبسًا يأكل القراميط.

جحا : (يضحك) حيلة ذكية.

الصياد : وبعد ذلك خضع كل الحراس لنا، ثم رويدًا تحوّلوا إلى عيون ترصد أي خطر يهددنا.

بهية : والناس يا جحا أقبلت على شراء القراميط كأنها تتحدى الخليفة الظالم الذي حرّم ما أحل الله للناس.

الصياد : والقدر لا يغلبه أحد، فالنهر يفيض بكميات كثيرة.

بهية : وعلى مدار الثمانية أشهر الماضية جمعنا ثروة طائلة، وقسمناها ثلاثة أقسام: قسم لي وقسم للصياد والقسم الثالث لك.

جحا : (بترفّع) بل هو لكما؛ أنا لا أستحق شيئًا منه.

بهية : لقد كنت أنت سببًا في هذا الثراء.

جحا : لن آخذ منه دينارًا واحدًا.

الصياد : (بدهاء) لقد جاءتني فكرة سوف ندخر نصيبك لكي نساعدك به على الهرب من هنا قبل أن يقطع الخليفة رأسك، سوف ننقذك بالمال كما أنقذتنا، سوف تهربك من هنا يا جحا.

جحا : هذا صعب؛ فلن يقبل أي حارس أن يأخذ رشوة لكي يهربني؛ لأنه ببساطة سوف يقتل بدلًا مني. (بذعر) كل من هنا يخشى الخليفة، هذا السفاح منذ أسبوع أمر بقتل مائة من الخدم والصقالبة والكُتّاب في ليلة واحدة. (بهلع) وليت الأمر كان قتلًا مباشرًا، لقد بدأ جريمته بقطع الأذرع بالسواطير، وقبل ذلك قطع رقاب بائعي الزبيب والقراميط وغيرهم.

الصياد : البلاد تعيش في حالة من الهرج والمرج، والعسكر في الجيش منقسمون بعضهم ضد الحاكم وبعضهم معه.

بهية : البلاد كلها تحتاج إلى الخلاص من هذا المجنون، وسوف نخلصك بأرواحنا يا جحا.

جحا : اتركوني وشأني. ربما أخلص نفسي بالحيلة.

الصياد : سنحاول معك بطريقتنا، ولن نهدأ حتى تخرج من هنا قبل فوات الأوان، لن نتركك يا جحا وحيدًا تواجه الموت وحدك، حتى لو متنا معك، نحن سوف نرد الجميل ونقوم بإنقاذك مهما كلفنا الأمر.

(إضاءة تدريجية على نفس المشهد السابق، مصحوبة بشقشقة العصافير، وموسيقى حالمة؛ حيث يقف بجوار الفسقية على يسار المسرح الأمير علاء الدين مع الأميرة ست الكل)

الأمير علاء : للمرة الثانية نتقابل قدرًا.

ست الكل : (وهي تضحك برقة) ربّ قدرٍ خيرٌ من ألف ميعاد.

الأمير علاء : (بلهفة) كيف حالك يا ست الكل؟

ست الكل : كنت قلقة عليك. لم أرك منذ ثمانية أشهر، على الرغم من أنك تأتي قصرنا كل يوم!.

الأمير علاء : (بقلق) أيها الأميرة، أمور الدولة من سيء إلى أسوأ.

ست الكل : صدقت أيها الأمير علاء.

الأمير علاء : الكارثة أن الخليفة ترك شئون الحكم لبعض المجاذيب، وهو يقضي وقته في العبث.. تارة في خلوته بالمقابر كل يوم خميس، وتارة في اللهو، وتارة في إصدار فرمانات مجنونة، ثم الكارثة الكبرى أن مشروع الخليفة الأول أصبح تعليم الحمار كتابة اسمه! أيّ حمق هذا؟

ست الكل : (بتعجب) لا أدري كيف تحول إلى شخص آخر لا نعرفه، تصور أن الخليفة الذي أنشأ مكتبة الحكمة الشهيرة هو من فقد كل الحكمة! لماذا وكيف حدث ذلك؟

الأمير علاء : بطانة السوء، والحقير حاتم اللباد، ومن بعده مازن بدر، والمنافقون، والدجالون أفسدوه، ولا ندري كيف نتعامل معه؟

ست الكل : نحن نحاول إصلاح ما يفسده دون جدوى.

الأمير علاء : (بهلع) اذهبي الآن يا ست الكل من هنا أرجوك وفورًا، فلو علم الخليفة أني التقيت بك لطارت رأسي ورأسك.

ست الكل : (بضجر) ياربي؟ إنها لقاءات بريئة وأحاديث تهدف لخير البلاد (يمر الحارس٢ من جوارهما،

ويحملق فيهما جيدًا)

الحارس٢ : الأمير علاء الدين والأميرة ست الكل!، الخليفة يمنع لقاءكما، وهذه مخالفة صريحة للأوامر العليا.

ست الكل : نحن تقابلنا بالصدفة أيها الحارس.

الحارس ٢ : (يومئ رأسه إلى أسفل مرتين، ثم ينصرف بدون أن ينطق بكلمة)

الأمير علاء : (بخوف.. مقترن بموسيقى دالة على التوتر) هيا انصرف على الفور يا أميرة قبل أن يحدث ما لا يُحمد عقباه.

ست الكل : سأنصرف، وكن حذرًا من الخليفة؛ فهو مجنون. (تنصرف بسرعة)

الأمير علاء : رحماك يا ربي، كل شيء في بلادنا مهدد، وكل الأمور سيئة، ولا ندري كيف الخلاص، دلنا على طريق النجاة. (ينصرف... بعدها بثوان يدخل الشيخ علي، والقس حنا، وسمعان اليهودي)

الشيخ علي : (همسًا) هذا الخليفة المجنون لا يريد أن يتبصر.

القس حنا : (بصوت منخفض) سوف يدفع الجميع ثمن طيشه.

الشيخ علي : (بحزن) هذا حقيقي.

القس حنا : وإلى أن تقوم الساعة سوف تظل ذكرى الخليفة «الحاكم بأمر نفسه» سيئة.

سمعان : لقد أصبحت صورة الخليفة رمزًا للظلم في الشرق كله.

الشيخ علي : المصيبة الآن هي كيف سنختبر مستوى الحمار؟ لقد أمر الحاكم المجنون بتشكيل لجنة لقياس مستوى ذكاء الحمار في القراءة والكتابة. (الجميع ثلاثتهم يضربون كفًا بكف، ويهزون رؤوسهم)

جحا : (يدخل ومعه الحمار، وهم في غمرة الضحك) مرحبًا بأعضاء اللجنة الموقرة (تزداد مساحة

الضحك، ويشيرون بأصابعهم إلى جحا.. مع استمرار الضحك)

الشيخ علي : (بتهكم) هذا معلم الإنسان والحيوان معًا.

القس حنا : (بسخرية) هوّ الحمار في سنة كام يا جحا؟

سمعان : (بهزل) هل حصل الحمار على المركز الأول في الفصل الدراسي الأول هذا العام يا جحا؟

جحا : (برقة) على رسلكم يا قوم، لا تسخرون مني فأنا أقاوم الخليفة بهذه الحيلة، وكل من يراني أفعل ذلك ينفر من الخليفة، ويتأكد من حمقه، صحيح أن الحانوتي قصد أن يوقعني في هذا الفخ، ولكن الذي سقط في الفخ هو الخليفة الحاكم بأمر نفسه.

الشيخ علي : صدقت يا جحا.

القس حنا : حان الآن وقت العمل، ولكن كيف سنختبر الحمار (يعاودون الضحك من جديد) ومن سوف يسأله!.

سمعان : (يضرب كفًا فوق كف) صحيح أن شر البلية ما يضحك.

الشيخ علي : (بحيْرة) كيف ننجز هذه المهمة؟

جحا : لا داعي للحيرة؛ فأنا أحضرت ورقة الإجابة وقد كتب فيها الحمار (يخرج من جيبه قرطاسًا من ورق، ويناوله للشيخ علي)

الجميع : (بدهشة) هه؟ (يحملقون في القرطاس)

سمعان : (بدهشة) إنه لم يكتب اسمه يا جحا، هل تخدعنا يا رجل؟

القس حنا : فقط مكتوب أربعة أحرف، الألف واللام والحاء والميم.

الشيخ علي : ومن أدرانا أن الحمار قد كتبها بالفعل!، لا بد أن نشاهده بأم أعيننا وهو يكتبها.

جحا : يا شيخ علي، لا تجهد نفسك؛ فقد كتبها الحمار بمساعدتي.

الشيخ علي : كيف حدث ذلك؟

جحا : لقد قمت بربط قلم خشبي كبير بجوار فمه،

وكنت أحرك رأس الحمار بحركة كل حرف؛ حتى أنجزت ما ترى.

الشيخ علي : هذا غش، ومع ذلك لم تتم كتابة الاسم.

جحا: (بجدية) لم يتم كتابة الاسم ها أنت قلتها، على اللجنة أن تنقل ذلك القرطاس للخليفة كما هو وتبرأ نفسها، فكما قلت لم تتم كتابة الاسم كاملًا بما يعني رسوب الحمار في الاختبار.

القس حنا : لا بد أن في الأمر حيلة يا جحا، فأنا أعرفك داهية، ولكن لا تتسبب في قطع رؤوسنا معك.

جحا : لا تخف. هذه نتيجة الدور الأول، وهناك دور ثان في نهاية العام.

القس حنا : لن نتراجع عن دعمك مهما كانت النتائج يا جحا، وسوف ننقل الورقة للخليفة كما تريد، وأنت حر معه.

الشيخ علي : وهو كذلك. هيا بنا لنسلم ورقة الإجابة لنائب الخليفة لشئون الحمار، ربما نموت مع جحا أو ننجو معًا.

الجميع : على الفور. (ينصرفون ويصعدون إلى بوابة القصر في عمق المسرح)

جحا : (لحماره) هيا بنا نستريح برهة حتى يطلبني الخليفة، فربما تطير رأسي. (ينصرف مع حماره إلى يسار المسرح؛ حيث مخدع الحمار)

(إظلام)

(بعد برهة من الوقت بالتزامن مع موسيقى توحي بالتوتر.. تعود الإضاءة خافتة مع كوّة من الضوء على الخليفة، وهو يهبط من القصر وخلفه حارس١)

الخليفة : (للحارس بغضب) أرأيت ست الكل تتكلم مع الأمير علاء الدين بعينيك؟

حارس١ : نعم يا مولاي.

الخليفة : يخالفان أوامري (يصرخ) أنا لا أقبل أن يخالفني أحد. حتى ولو كانت أختي، في جميع الحالات المصير واحد. (برهة صمت) قطع الرأس (للحارس) اذهب وأبلغ قائد الحرس بضرورة ضبط الاثنين في الحال.

: حالًا يا مولاي. (ينصرف)

الخليفة : (همسًا) لابد أن بينهما سرًا كبيرًا. نعم لقد كانت ست الكل مرتبكة منذ صباح هذا اليوم، كانت تشتكي من دوّار في رأسها منذ الأمس، هل هي... لا، لا. بل هو ما أخشاه، هي حامل منه، لقد راودني الشك في ذلك منذ يومين، وطلبت من قائد الحرس مراقبتها هي والأمير علاء الدين، (يتساءل) هل حاول قائد الحرس أن يقنعني أن ما تشتكي منه ست الكل هي أعراض البرد لنفي فكرة حملها من الأمير خوفًا على مشاعري (بعنف) تبًا لذلك الوغد سيف الدين؛ سأنتقم من الجميع. (يدخل جحا)

جحا : (ينحني تحية للخليفة) طاب يومك يا مولاي الخليفة.

الخليفة : (بغضب) حتى أنت أيها الماكر، لم تستطع تعليم الحمار اسمه حتى الآن.

جحا : (بتودد) من قال لجنابكم ذلك يا مولاي؟

الخليفة : لجنة الاختبار تركت القرطاس، وبه فقط أربعة حروف، وذكرت أن الحمار لم يكتب اسمه، أكنت تخدعني أيها الوغد، مصيرك نفس مصير سيف

الدين وست الكل رأسك سوف تطير.

جحا : (بهلع) أنا لم أقصّر يا مولاي.

الخليفة : وتقرير اللجنة الذي ذكر أن الحمار كتب أربعة حروف فقط؟

جحا : أنا عند عهدي مع جنابكم؛ فاللجنة أحضرت لكم أربعة أحرف من اسم الحمار، وهذا يعني أنه يتعلم بانتظام، فاسم الحمار مكونٍ من ست أحرف، وهو يتعلم كل شهرين حرفين، وقد مضى ثمانية أشهر تعلم فيها الحمار الموقر أربعة حروف، ويتبقي حرفان سوف ينتهي الحمار من حفظهما عن ظهر قلب في نهاية العام بعد أربعة شهور بالتمام والكمال، وبنفس المعدل حرفان كل شهر.

الخليفة : (باقتناع) هذا مناسب. سوف أمهلك حتى نهاية العام. (يدخل حارس١)

حارس١ : مولاي، أبلغت قائد الحرس بضرورة ضبط الأمير علاء والأميرة ست الكل، وهو حرّك بعض الجند للبحث عنهما في كل مكان.

الخليفة : أبلغه أن يحضرهما على الفور حتى أشهد بنفسي قطع رأسيهما، وحتى يحضر جحا ذلك المشهد؛ ليكون عبرة له إذا لم يتحقق وعده.

جحا : (يرتعد) سوف يكتب يا مولاي.

الخليفة : اتبعني أيها الحارس لنتفقد معسكرات تدريب الجند. (ينصرفان)

جحا : (بهلع) يقطع رأس أخته؟ ألهذا الحد تبلغ القسوة؟ ضعت يا جحا بلا ثمن، لابد من مخرج، الهرب هو الحل، ولكن جند الخليفة في كل مكان!، سيتم القبض عليّ أينما ذهبت. ماذا أفعل (لنفسه) هل فقدت الحيلة ياجحا؟ بعد أن كنت صانع الحيل؟ (يدخل الأمير علاء وست الكل في حالة ذعر.. جحا يقترب ليسترق السمع)

الأمير علاء : (لست الكل) لماذا حضرتِ إلى مكتبي وطلبتِ مني الخروج بسرعة؟

ست الكل : الخليفة علم بأني قابلتك، وطلب القبض علينا وقطع رؤوسنا، وقد أبلغني قائد الحرس بذلك فورًا. طلب مني المغادرة من القصر؛ فالخليفة يظنني حاملًا منك.

الأمير علاء : أستغفر الله من سوء الظن. هيّا بنا لنذهب بعيدًا ونختبئ لحين تدبير أمورنا.

جحا : (يظهر فجأة ويقترب منهما) هيّا بسرعة. اهربا.

الاثنان : من؟ جحا قد سمعنا؟

جحا : لا تخافا مني؛ فأنا أنتظر نفس المصير، ولا بد من التعاون معًا؛ لننقذ أنفسنا والبلاد من هذا المستبد، اخرجا بسرعة من هنا، وسوف ألتقي بكما في المساء عند السوق القديم لندبر خطة للخلاص من هذا الظالم.

ست الكل : (جانبًا للأمير سيف) أتثق في جحا؟

الأمير علاء : (جانبًا لست الكل) جدًا فهو مثلنا وأكثر.

جحا : لا داعي للهمس. الآن اهربا قبل فوات الأوان. (يهرولان للخارج)

(إظلام)

المشهد الثاني

(يُسمع نقيق ضفادع دلالة على المساء.. تعود الإضاءة خافتة على نفس الديكور في الفصل الأول؛ حيث يقف الحانوتي والصياد بجوار المقابر)

الحانوتي : (بتهكم) ما هي أخبار صاحبك، جحا؟

الصياد : (بفتور) لا أدري هل وصلتك أخباراً عنه؟

الحانوتي : كل ما أعرفه أنه هرب منذ أسبوع، الملعون هرب قبل انتهاء المهلة بأيام (يضحك بتشفى) كل أملي أن أرى رأسك يا جحا معلقة فوقَ الرماح على بوابة القصر.

الصياد : ألهذا الحدّ تكره جحا؟

الحانوتي : لم أكره أحدًا مثله، لقد حرّض الخليفة عليّ، وتسبب في سلب حماري عنوة، ولن تكمل سعادتي حتى أراه مشنوقًا، فهروبه ونجاته تعني النجاة من العقاب. (بغضب) لا يمكن أن يحدث ذلك بعد أن أمضى عامًا في الترف، لو حدث ذلك يكون قد انتصر عليّ وفاز بالجولة.

الصياد : لم يهرب جحا وحده، لقد سبقه بالهرب منذ ثلاثة أشهر الأمير علاء والأميرة ست الكل، ولم يعثر الخليفة على أثر لهما.

الحانوتي : ماذا تقصد؟ هل سينجح جحا في الاختفاء مثل الأمير والأميرة؟

الصياد : ربما (يخرج حنظلة الأسود مع العبد بكر من المقابر من جوارهما مما يثير الذعر)

الاثنان : (بهلع) جنيّ؟

حنظلة : (بغضب) بل من الإنس أيها الأحمقان.

الحانوتي : اغرب بنفسك يا صياد. (يجريان في اتجاه المنازل)

بكر : (يضحك بزهو) لقد خاف منك الحانوتي الذي لا يهاب الموت يا حنظلة.

حنظلة : (بغرور) أنت تعلم يا بكر أن حنظلة شقيق الموت.

بكر : لا تغتر حتى ننجح في مهمتنا؛ لأن الفشل معناه أن رقابنا قد تطير.

حنظلة : (بخوف مكتوم) سوف ننجح حتى ننعم بالذهب؛ فقد منحتنا الأميرة ست الكل أموالًا كثيرة، خمسمائة دينار ذهبي لكل فرد منّا.

بكر : نعم. مُنحنا ثروة طائلة، ولا مجال أمامنا سوى النجاح؛ فالفشل يعني أننا لن نستفيد من الذهب الذي أخذناه منها عند الاجتماع بها في السوق القديم.

حنظلة : لقد رتبنا أمورنا، وكل مجموعة في مكانها سوف تنتظر الخليفة في خلوته؛ ليذبح بالخناجر، ويلقى في البحيرة، وبعدها نتفرق كل إلى سبيله لنبدأ حياة جديدة.

بكر : أنا دوري هو إبلاغ الأمير علاء.

حنظلة : وأنا دوري هو الذبح فقط. (يسمع وقع أقدام من بعيد)

بكر : هيا بنا نختفي. يبدو أن الخليفة قد حضر لقضاء خلوته في المقابر كعادته كل ليلة جمعة.

حنظلة : هيّا بنا نختفي بالمقابر. (ينصرفان في اتجاه المقابر... يدخل الخليفة ومعه الحارس١وقائد العسكر)

الخليفة : انتظرا هنا حتى أنتهي من خلوتي.

حارس١ : أشعر بخوف عليك يا مولاي، وأرى أن تكون معك فرقة من الجند.

قائد الحرس : ما رأي مولاي.

الخليفة : (بغرور) لا يجرؤ أحد على الاقتراب مني. انتظرا هنا حتى انتهاء خلوتي. (يدخل المقابر.. موسيقى توحي بالتوتر.. إظلام مع بقاء كوة ضوء على قائد الحرس والحارس)

قائد الحرس : (.. بصوت خافت) لقد حذرته وهو لا يستمع

لرأي أحد.

حارس١ : (بخوف) أشعر بقلق غريب ربما سيحدث مكروه للخليفة.

قائد الحرس : (همسًا) ليته لا يعود.

حارس١ : بماذا تهمس ياسيدي؟

قائد الحرس : (بنفاق) أنا مثلك أيها الحارس يساورني القلق.

(إظلام تام مع سماع الأصوات التالية)

صوت : حفيف الهواء يتداخل مع هزيز الريح.

صوت : نعيق بوم يتداخل مع نعيب الغراب.

صوت : رعد وهزيز ريح.

صوت : موسيقى جنائزية (برهة صمت تام)

(إضاءة تدريجية على نفس المشهد حتى تكتمل مقترنة بشقشقة العصافير دلالة على الصباح. برهة صمت تتبعها لحظة هرج ومرج وهرولة بشر ذهابًا وإيابًا لبضع لحظات، ثم يظهر قائد الحرس على المسرح ومع الأمير علاء وست الكل)

قائد الحرس : لم نعثر على الخليفة يا سيدي الأمير علاء، أبلغني الحارس أنه عثر على عمامته مخضبة بالدماء بجوار البحيرة، يبدو أن من قتله ألقى به في البحيرة، حتى أننا وجدنا حماره به آثار لعدة جروح من آثار الضرب بسكين أو خنجر على ما يبدو.

ست الكل : (تصرخ) أخي رغم أنك كنت الظلم بعينه، رغم أنه كان يجب أن تموت إلا أنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من الحزن عليك.

الأمير علاء : (برفق) اهدئي يا ست الكل، لقد تخلص الشعب من طاغية أذل رقاب الأحرار وقهر الشرفاء.

ست الكل : أنا سعيدة برحيل الظالم، وتعيسة برحيل أخي؛ لأن التاريخ سوف يذكر لأخي سوءات فظيعة، لقد تلوث تاريخ أسرتنا أيها الأمير.

الأمير علاء : تعالي معي نحتفل بالخلاص من الظلم؛ لنبدأ من جديد مع الخليفة الجديد لعل روح العدل

والحرية تعمّان في أرجاء البلاد (ينصرفان.. يدخل جحا والصياد)

الصياد : لقد نجوت يا جحا.

جحا : أحمد الله على النجاة (يدخل الحانوتي)

الحانوتي : (بحقد) ما زلت حيًا يا جحا؟

جحا : (بثقة) الحق لا يموت.

الحانوتي : نجحت حيلتك، وكسبت يا جحا.

جحا : نعم. فالحيلة سلاح الشرفاء في مقاومة الظلم، ودائمًا ينتصر العقل على القوة الغاشمة، لقد كان الخليفة يقهر الجميع وأنت تقهر حمارك، وقد ولّى عهد القهر، وانتصر الحق. (بسخرية) بل انتصر الحمار.

(ستار النهاية)

القاهرة ٥/٤/ ٢٠١٤ ميلاديًا